اللقاء الأخير

حين كان الجنود يتمردون على الحرب لأنها من وجهة نظرهم انتهاك لحرمات شعب وأرض ليس من حقهم سلبها .. ظلمة السجن لم ترحمه.. لوعة الفراق كذلك، وكلمة حق أمست كالغصة في حلقه .. كم نصحته أن يكف عن تمرده وأن يحارب الأعداء لكنه كان رجلاً صاحب قرارٍ لا يتزحزح، ظل يراسلها من سجنه سنوات مقابل مبلغ كانت تدفعه للسجان.

اشتدت الحرب وحمى وطيسها؛ فكانت أجمل ليلة تلك التي عانق فيها النور بعد هزيمة جيش بلاده المعتدي .. زادت سعادته حين تخيل عناق حبيبته بعد فراق دام سنوات عدة .. سجد على الأرض وقبل تراب الوطن، وهام على وجهه ليبتعد عن محبسه ظناً منه انهم سيعدوه له ثانيةً .

لم يصدق مروره بالقرى .. قرى بلاده التي يعشقها؛ ولم يقلل من فرحته أنها نكست الأعلام بعد الهزيمة، وأخيراً وقف بالقرب من شجرة كان قد اتفق مع محبوبته أن تنتظره عندها.. دام وقوفه ساعات ولم تأتي بعد .. يلوح في الأفق طفل يتجه صوبه وكأنه يعرفه .. لم ينتظر منه سؤالاً ولا حتى جواباً بل

سأل الطفل عن حبيبته فأشار له الثعلب الصغير بإصبعه؛ فأردف يجري وهو يجري خلفه.

تتبعه في غرفة مظلمة وكأنها مقبرة بعدما نزلا على درج ترابي تحت الأرض .. فتح الطفل تابوتاً صغيراً، ما ادهشه حقاً هو رسائله التي ملأت التابوت عن آخره، بدت له وكأنها وضعت فيه للتو.. تكلم الطفل لأول مره قائلاً: "أهذه لك؟" .. أومأ برأسه وأجاب بنعم، وفي ذهول لمح خيالات من جوانب الغرفة سرعان ما انقضت عليه ووضعت القيود في يديه.

لم يكن يعلم ان آخر لقاء له مع محبوبته هو يوم إعدامهما معاً لاتهامهما بالخيانة العظمى للوطن، لتمريرها أخباراً عسكرية منه إلى صفوف العدو، أعدما معاً رمياً بالرصاص، وظل يوم إعدامهما يوماً مأثوراً؛ كتب عنه شاعر كبير في مطلع قصيدته: "يا من هانت عليه نفسي، كيف سلبت مني روحي بحبٍ، والتقينا فكيف كانت نهايتنا".

التقى بعدها مذيع تليفزيوني شهير على القناة الوطنية مع الشاعر كاتب قصيدة الرثاء في الحبيبين سائلاً اياه عن سبب حزنه عليهما وقد خانا الوطن؛ فرد عليه وقد اغرورقت عيناه بالدمع قائلاً: "لا تنسى أنني أول من كتب نشيد وطني لبلادي."